ديوان
هنا القاهرة

شعر

خالد الطبلاوي

تقديم

أ.د/ مصطفي أبو طاحون

دار البشير للثقافة والعلوم

اسـم الـكـتـاب: **ديوان هنا القاهرة**
التـأليـف: **خالد الطبلاوي**
موضوع الـكـتـاب: **شعر**
عـدد الصفحـات : **100**
عـدد المـلازم :**6.25**
مقاس الـكـتـاب : **14 × 20**
عـدد الطبعـات : **الطبعة الأولي**
الإيداع القانوني :
الترقيم الدولـي :
الصـف التصويري: الندي للتجهيزات الفنية

التوزيـع والنشـر
دار البشير للثقافة والعلوم
مصر
darelbasheer@hotmail.com
darelbasheeralla@gmail.com
ت : 01012355714 - 01152806533

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الـكـتاب أو جزء منه بـكـل طـرق الطبـع ، والتـصوير، والنقـل، والترجمـة، والتـسجيل المرئـي والمـسموع والحاسـوبي ، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من :

دار البشير للثقافة والعلوم

1435 هـ
2014 م

ديوان

هنا

القاهرة

شعرية الألم والثبات والأمل

قراءة في ديوان الطبلاوي «هنا القاهرة»

لـ أ.د/ مصطفى أبو طاحون

خالد الطبلاوي شاعر كالمطر، يعي قيمة نفسه وإن جهلها الآخرون، فهو كالحادي والرائد بين قومه، تكمل به الحياة، ويدرك به الأهلون الخلود كما يقول:

فدوني تعيشون نصف الحياة.. وبي تدركون الخلود الأغر

وهو شاعر لإن تناغم الكون معه.. فشدت بلابله بأغانيه، فإنما يعانده بعض من أبناء وطنه، ممن أصفاهم الحب وأمحضهم الود.. فهو في ضيق من أمرهم، يتجرع الآلام، إذ يحترق من أجلهم.. ويكيدون له، يحنو عليهم ويغدرون به، يجاهد من أجلهم؛ لتكتب لهم الحياة.. ويصنعون ـ نعم هؤلاء ـ له الموت، أما تناغم الكون معه ففي فاتح قصيدته الافتتاحية «**شاعر كالمطر**» يقول:

لقد كان يسكن تلك الربى شاعر كالمطر

وكان إذا ما تغنى/ تغنت به الطير فوق الغصون

ويصغي له في السماء المطر/ ويغفو لغمسته الجدول العنبريُّ

وينسابُ شوقًا على المنحدر

وكان إذا حان وقت الحصاد/ تتوق له الأرض/ يهفو له شَعرها العسجديُّ فيمنحها شعره والوتر/ فتشدو بلابلها ما يريد

والطبلاوي يتجرع – صابرا محتسبا – الآلام من أولئك الانتهازيين.. الأنانيين، ممن يبحثون عن الحقوق غير منقوصة، في حين أنهم يهدرون الواجبات كاملة.. يقول عن هؤلاء.. الموجوع بهم في «**آهات العيد**»:

ولكل فرد في البلاد مطالبٌ لو بعت مصر لما كفته نقودا

وإذا دعا الداعي لبذل مكارمٍ ألفيت جلَّ الطالبين عبيدا

خصومة الطبلاوي – وأمثاله – إذن ليست مع الوطن.. وكيف يكون ذلك ؟!.. وإنما هي مع من يدعون الوطنية.. مع الجهل وأهله.. والحقد وحزبه.. والعمالة ومحترفيها.. مع الحمقى والمغيبين.. يقول في «**مصيبة الحر**»:

شكوت للطبيب أن عيني قد أصبحت ضعيفة هزيلة

ترى الكثير في بلادنا آذانهم ممطوطة طويلة

فقال: إنها سليمةٌ ويا لها من نظرة أصيلة

فغيِّر البلاد وارتحل أو غير الرجال والقبيلة

فقلت إنها مصيبةٌ للحر في بلاده الجميلة

والأخير من الأبيات كاشف لحقيقة مأساة الشاعر، إذ تنحصر خياراته، وهو الحرُّ، في الارتحال عن الوطن، أو تغيير الرجال.. أما رحيله عن بلاده فلن يكون! يقول عنها:

وإن تخطفته للـــــردى كلابهـا لـن يبتغـي رحيلـه

يؤرق الطبلاوي أن يكون ممن يحبهم، مَن يهوى الحضيض، فيبيع قيمه متخليا عن إنسانيته لتدعيم فاسد أو ظالم.. يعيب على هؤلاء في «ريحانة» فيقول:

ريحانة ابتاعت جوار حبيبها ربِ الأنام وجمعكم قد خانه

ما مـــوتها إلا حـــياة بينما صرتم لطاعــون الفنا أقرانه

يا ساجدون لكل أوثان الورى حتى وإن كسر الورى أوثانه

فهؤلاء الفاسدون هم من يشقى بهم الطبلاوي، لا الوطن.

إن الطبلاوي في ديوانه «**هنا القاهرة**» يحاول الإمساك باللحظة.. وهي فارقة.. محليا وإقليميا، وعلى مستوى الأمة المسلمة، وقصائده: «**لا تنتحر، ريحانة، يا سامريُّ الويل لك، هنا القاهرة، على درب الهجرة، صورة وطن**» كلها تنبيك الخبر، وللطبلاوي عناية بقضية فلسطين في هذا الديوان وفي إبداعه السابق.. وله هنا قصيدتا «**غزة المجد، غزة العزة**» وفي العناوين يتبين موقف المبدع المنبه.. المُثني على أماجد غزة الأعزاء، وكلتاهما جرت في قالب

موسيقي غنائي تتنوع قوافيه، ربما طربًا بأفعال المقاومة والجهاد، يقول في الأولى:

لن ينال حصاركم من كبريائي لي بـربي معـبر نحـو الـسماءِ

مصحفي زادي ومسكي من دمائي..فليكن من بعد موتي ما يكون

وهو في الثانية يمسك للتاريخ بتوثيق لملحمة «**العصف المأكول**» تلك التي جرت وقائعها في هذا العام 2014 فيقول:

مَلْحمـةُ العـصفِ المـأكول تُخـــــزي أنـــذالًا وذيـــول

تُعلـــنُ في عـــــزٍ للـــدنيا للحـــق سنمـــضي ونـــصول

يحاول الطبلاوي الإمساك باللحظة توشك أن تفلت من أيدي التاريخ حقائقها، بفعل المزورين ومساعدة الغافلين، هي لحظة يألم الطبلاوي لها، وفيها، وبها مع كل وطني غيور حرٍّ، ولا ترضي إلا المنتفعين الدخلاء، الخائنين الأجراء، الغادرين العملاء.

ولأن اللحظة تحمل في واقعها ما يفوق الخيال، إذ هي:

حكاية ما كان يسطيع الخيال بناءها

تألم الشاعر كثيرا، لكنه الألم الباني، لا الهادم.. الألم المورق أملا، لا الألم الصانع أرقًا.. ومن رحم الآلام تولد الآمال، أو كما يقول الطبلاوي في شام العجائب:

يستنشق الناسُ عطر الموت في فرحٍ = تستعذب النار والبارود أزهارُ

ولأن الألم في عقيدة الطبلاوي وشعره حافز لا معوق، فقد تآزرت عنده ثلاثية الألم والثبات والأمل.. فرادى ومثنى وثلاث.

أما الألم فعند الطبلاوي نور هاد يقول:

سبحان ربي أ للآلام بَوْصَلَةٌ = تهدي الحيارى وللأحزان أنوارُ ؟!

والألم وإن بدا ذاتيا في بعض حين، كما في قوله ملتاعًا لفراق أمه في «**حبي الأول**»:

أجيبي فؤادي ..يقولونَ مثواكِ تحتَ الترابِ

ويُقسمُ قلبي: بأنك لي الروحُ والقلبُ والذاكرة

فعُودي لِحِضني / فما عادَ قلبي يطيقُ اصطبارًا

لألقاكِ – يا أمُّ – في الآخرة.

فألم الطبلاوي في جلِّ الأحايين جمعي، يألم لأمته، ولوطنه ولأحبابه ممن نزلت بهم النوازل، فهو في «**رغيف بالدم**» يحكي مأساة الأمة المسلمة، الضائعة، إذ يغبنها الكون.. يقول في مفتتحها:

رغيف من دمي بدمي فلا تعجب فداك دمي

وكل واشرب وعش فرحًا ودعني أحتسي ألمي

ثم هو يكشف عن دوال القيم في دنيا الأمم.. إذ تكيل بمكيالين، فيقول معتمدًا على آليتي الاستفهام التعجبي والتنكير المفضي إلى تجسيد المأساة هوانًا للأمة «**تمثالًا لبوذا، دجاجات، أغراض**» وتعظيما للآخر «**ثلة، أفواجًا، قدم**»:

ترى لو كنت تمثالًا لبوذا ذلك الصنمِ

وهب أنَّا دجاجاتٌ تمير مطابخ العجمِ

وأغراضٌ لأوباما أترضى ثُلة الأممِ

أما كنتم ستنتفضون أفواجًا على قدمِ ؟

أما الأمل فهو الحياة.. يتشبث به المؤمنون.. المدركون لقدراتهم، يقول في «**لا تنتحر**»:

يا مغلق الأبواب مهلا وانتظر/ وامدد يديك إلى السحابة

واعتصر أملًا وعش لا تنتحر

يحيا الإنسان لأمل، وعلى أمل.. أن يقترب النصر، وأن يحيا البائسون في عزة وكرامة، يقول الطبلاوي في «**روح الأمل**»:

روح الأمل/ تحيي موات البائسين/ وتُقرِّب النصر المبين

من أجل أجيالٍ تتوق/ إلى الجنان بلا خجل/ في عِزةٍ وكرامةٍ

متفائلين ومؤمنين/ أن الذي خلق الحياة/ هو الذي يقضي/ إذا حان الأجل

والأمل هو وحده الذي يدعو إلى العمل، يقول:

روح الأمل/ خطَّت على أرضي هنا/ درب العمل
فاستبشروا/ بل شمروا/ عن ساعد الجد الذي/ ما كلَّ في طلب العلاءِ
وبالضياءِ/ قد اغتسل

إن بلاد الطبلاوي هي ألمه وأمله على سواء! مصداق ذلك ما نجده في «**غريب**» جامعا بين الثبات والأمل بشأن الوطن.. إذ يقول:

لكن حلمي لن يموت وإن رمت قلبي السهام
ستعود يا وطني تكف عن البريء يد اللئام
شمسا يطل ضياؤها يهدي إلى الناس السلام
ومنارةً للســـــائرين وقبلة لمن اســـتقام

ومن جميل تآزر الثلاثية ما ورد بنهاية «**صورة وطن**» وفيها:

يا حبنا المسروق/ يا جرحا يلم شتاتنا/ رغم الأسى للعافية
لا دمع بعد اليوم/ بل زادي إليك هو الصمود
وغدا نعود/ يا دفئنا المفقود عد/ واغسل همومًا عاتية

والتآزر المنسوج بين مكونات الثلاثية هنا يستحيل معه فصم عراه؛ إذ لا يمكن تصور الدوال: جرحا، شتاتنا، دمعًا، تعبيرًا عن

الألم، فهي في سياقات مفعمة بالألم والتعافي يربط الأولين الفعل «**يلم**» المتعدي بهما للعافية! لذا فهما بفعل التركيب من مظان الأمل لا الألم، وتسليط النفي على الدمع ومجاورته لشبه الجملة الظرفية «**بعد اليوم**» يجعله كذلك دالًا مفعمًا بالأمل!

وبالمقابل فإن «**الدفء**» ليس عنوان الأمل، إذ يحوله إلى الألم وصفه بالمفقود!

إن تحولات البنية هنا يصعب معها تصور الدوال بمعزل عن التركيب، هي أمارات ألم أو أمل أو ثبات.. لكنه إبداع المهموم تكاثرت عليه وتكاتفت! لا يمنع هذا وذاك أن بدا الثبات بارزًا في «**زادي إليك هو الصمود**» في مقابل تجسد «**الأمل**» واضحًا في«**وغدا نعود**» .

بدت إلى جوار هذه الثلاثية في «**هنا القاهرة**» للطبلاوي ثنائية أخرى تدور في فلك الثلاثية متراوحة بين الألم والأمل، تلك هي ثنائية الوطن والحب.

والوطن رغم تجهمه للطبلاوي حبيب إليه، جميل، لا يبغي عنه بديلًا، يقول:

ورسمت صورتك الجميلة يا وطن/ وعليك أغمضت العيون
حبا رأيتك مثل حبات الندى/ أو لحن عصفورٍ شدا
ويتيمةً مدت يدا/ للحلم رغم الموت والدم والجنون

ومقاومًا في سجنه/ نقش الحياة على الجدار/ وخط أغنية الأمل

أمـا الحـب فيحيـاه فطـرةً سـوية، وطهـرا سـويا، يقـول مجسدًا للعفاف والطهر في حبه لزوجه وذلك في «**نظرة**»:

مالي وحُسن ليس لي/ من لي هناك بمنزلي

وضاءةٌ كالشمس تمشي في العفاف الأكـملِ

مكنـــونةٌ كالدُّر طـهرًا ثوبها من مغـــزلي

ترنو لدنياها إذا نظـــرت بعـــزٍ من عـــــلِ

هي لي لباس الستر والسكن الذي يشتاق لي

يعرف بالحب العفيف في جمال ووضوح، إذ هو العفة والنقاء والحنان والمكارم والرحمة والحكمة والسمو.. يقول في «**الحب يا ولدي**»

والحب عفة يوسفٍ/ ونقاء فاطمَ والبتول

وحنان يحيى/ واقتفاء مكارمٍ خلف الرسول

بل رحمة تروي القلوب/ وحكمة تهدي العقول

وإلى مقامات الرضا/ درب ومعراج الوصول

أما الأم فقد كانت للشاعر الحب الفطري الرباني.. وكذلك كان معها.. يقول عن حبها في «**حبي الأول**»:

بحقِّ النجاحِ الذي كان يشرقُ شمسًا على وَجنتيكِ

إذا ما رأيتِ الشهادة

ولَوحِي الذي كنت أحفظُ منهُ الكتابَ العزيزَ

فكنتِ تعانينَ من سُوءِ حفظي

ومِن كظم غيظٍ تحسِّينَ ضيقًا كطَلَقِ الولادة

وبمثل ما كان الألم حافزا.. فإن الأم في "بين يدي الخنساء" ملهمته، يقول:

هزي نخيل الشعر إني جائعٌ

ولئن بدا شعر الطبلاوي نبيلًا، فقد بدا أيضا جميلًا، حينما استثمر بوعي وجمال أدوات فنه استثمارا بدت الأدوات مطواعة له، فجمع شعره بين المعنى السامي والقالب الراقي، وقد بدت قدرة الطبلاوي المبدع أول ما بدت في استثماره لقالب الاعتراض الكاشف عن ثراء تجربته وقوة لاقطته، بحيث لم يحل تدفقها دون الإمساك بأكثر مفرداتها، يقول في «**حبي الأول**» عن أمه:

فلا.. لستُ أنسى/ وأنتِ الغرامُ القديمُ

– الذي ظلَّ يغرسُ فيَّ الحنانَ –وماءُ الحياةِ

فصل الطبلاوي بين الخبر والمعطوف عليه «**ماء الحياة**» بجملة حالية تثبت ما لو سقط ما عيب إبداعه، لكنه الوفاء بحق التجربة.. والأم. ومثل قوله عن الوطن:

يا جرحا يلم شتاتنا- رغم الأسى– للعافية

وهـو يحـسن اسـتخدام الإنـشاء في لحظـة الانفعـال، فينـادي ويتساءل في «**رسالة سجين**»:

يـا قومنـا/ أولـيس للحقـد المـدمر مـن سـبيل؟/ لأظـل في زنزانتي/ من غير سابقة نزيل؟

ولقد حمل شعر الطبلاوي في جنونية المشهد ما جعل المفارقة قالبا أسلوبيًا مناسبًا، أحسن توظيفه في كشف الحقائق وجمالية التعبير.. من ذلك قوله:

وموتي في سبيل الله يحييني ويفنيكم

وتجسد المفارقة أحيانًا فساد المسعى، وبوار العمل كما في قوله تجسيدا للتقدم للوراء:

مستقبل يرنو إلى قرنٍ مضى. وتبدو المفارقة أداة الطبلاوي الأثيرة للكشف عن حقيقة الموت والحياة، فربما كانت الحياةُ «**جبنا وتخاذلًا وخيانة** » هي الموت، وبالمقابل يكون الموت في سبيل الله، والوطن حياة لصاحبه وأهله يقول في «**هنا القاهرة**»:

فإن عشت كنت مع الميتين/ وتلك إذًا كرة خاسرة

وإن شئت فامض مع الخالدين/ إلى جنة بالرضا عامرة

وفي حديث الطبلاوي للمفارقة على نحو راقٍ حديثه عن

تحولات الإنسان، وتقلبات الزمان المؤلمة:

قد أصبح الإنسان مهزلة ومزبلة/ ومات الأُسْد/ واستولى الكلاب على العرين

وقد ظهرت قدرة الطبلاوي على السرد الرومانسي الحالم، «وهو القاص كما هو أديب الأطفال» لافتة للنظر بالديوان، ومن نماذجها قوله:

بحقِّ الطعامِ الذي كنتُ ألعَقهُ مِن يديكِ

فأعشقُ طعمَ الأصابعِ قبلَ الطعامِ

وما قد دسَستِ بقلبِ الحقيبةِ/ قبلَ الذهابِ إلى المدرسة

وعند الرجوعِ/ ألوذُ بكرسيِّ حِجرٍ حنونٍ

أحدِّثُ عن كلِّ ما قد رأيتُ/ وتُصغينَ في رقةٍ ساحرة

لقد أحسن توظيف تقنيات السرد في نص أقرب بطابعه إلى السردية، إذ يحكي هنا عن أمه (**حبه الأول**) بعد أن قضت، ولذا تتردد:«**كنت، أحدث، تصغين**»في مواضعها مستقرة، وفي قوله «**دسست**» ما يجسد حبًا وعناية خاصة من الأمِّ، إذ نشتم من الدال حركية السرية والتخفي!، وربما كان في «**رقة ساحرة**» ما يجسد أيضا حنان الأم وصبرها على وليدها المبدع.

وفي « **قوافل الإعدام** » تتجلى الصورة فاعلة في شعرية «**الألم والثبات**

والأمل» من ذلك قوله: فقد أعدمت الإعدام من جور فشا فيكم

وهـو يجسد بالـصورة حـال الغريـب في «**غريـب**» فـتراه خبـيرًا بالغربة، طوبى له؛ إذ يقول:

عيش الغريب كموتـه/ لا نـوم يحلـو أو طعـام/ أيـن ابتسامات الصغير/ وقـصة قبـل المنـام/ أو قُبلـة مثـل النـسيم/ تطـير بي فـوق الغمام.

يصور حب أمه فيقول:

بحق الغناء الذي كنت أصحو عليه/ فيقتات قلبي على الحـب/ والود كان الشراب

يقول عن مأساة العصر:

في كل ناحية تناثر لحمنا/ ودماؤنا شقت طريقًا/ والحرائق تأكل الجرحى فيعلو بالإدام لهيبها

وقد استدعى الطبلاوي في ثقافته ما نصصه دعمًا لرسالته، ويأتي النبع الإسلامي على قائمة مصادره التناصية، إذ تتردد تعابير القرآن «**السلـسبيل، والقـصاص**» ومـا يـستلهم منهـا «**أمـا مـن مـدكر**».. وحينما يُظلم يلجأ إلى الحكم العدل «**سبحانه**» فيقول:

فلتخبروا سـجانكم/ يومًـا سيأتيه القـصاص/ حتـى وإن طـال المدى/ يوم القيامة بيننا

لا ظلم فيه ولا مناص/ والله يحكم بيننا هو حسبنا نعم الوكيل

وهو يفزع كذلك إلى «**سعد والمثنى**» حينما يهان أهل المكرمات.. يقول:

لو كان سعد والمثنى بيننا/ ما ذاق أهل المكرمات مهانة

ولأبطلوا مكر المجوس وسحرهم/ ولأخمدوا لابن الخنا نيرانه

مـرة واحـدة لم يتفـق فيهـا التعبـير المنـصص إيقاعيًـا مـع سـياقه الضام، إذ السياق على تفعيلة «**المتقـارب: فعـولن**» والتعبـير مخـالف لها.. ذلك في قوله:

بحقِّ الذراعِ التي قد توسَّدتُ عندَ المنامْ

وذاك الحَمَامِ الذي قد زعمتِ بأنك لي تذبحينَ إذا ما غفوتُ:

(هوه هوه.. نام نامْ.. واذبحْ لك زوجين حمامْ)

وقد عانقَ الصدقَ منكِ الكلامْ

وحـذف المنـصص هنـا لـن يـضير التعبـير، وربـما شـفع للـشاعر وضعه لأقواس التنصيص.

ويستخدم الطبلاوي الرمز بإبداع وجمال كما في قوله:

يا سامريُّ الويل لك/ عجَّلتَ بالثور المُهجَّنِ مقتلك

من قال إن العجل بالفتن العظيمة أجَّلك؟

كل الذين تبرعوا بحليِّهم كي يُخرجوه/ منافقون

كل الذين استضعفوا هارون وانقلبوا عليه/ سيهربون
سيعودُ موسى/ كي يُحرِّقَ عجلك المصنوعَ من ذهبٍ وماس
ولسوف تصرخُ: لا مساس/ وتعيشُ تنتظرُ الوعيد
مِنَ الذي قد أمهلك ؟/ ما أجهلك/ فالويل كل الويل لك

أما إحساس الطبلاوي الموسيقي فظاهر باهر.. بدا واضحًا في عدة مظاهر: أولها تنضيد أبياته على نحو يؤكد إحساسه المرهف بالكلمة والتعبير، فجاء شعره العمودي مقطعًا تقطيعًا سطريًا لا شطريًا، يدفعك إلى الإحساس بالنغم مع التعبير، وبالمعنى مع الدليل، فلا يفوتك شيء ولا ينبهم عليك معنى، مثال ذلك قوله:

ما أجمل الموت/ ما أحلاه أمنيةً/ يهفو لها في ليالي القصف ثوارُ
يشدو بها الطفلُ والأحشاء بارزةٌ/ يصغي لها الشيخُ والآلام إعصارُ

فالبيت الأول «**من البسيط**» قطعه على ثلاثة أجزاء لا شطرين ليتجسد المعنى، وليقف القارئ على مراده.. وهذا الإجراء إلى ذلك يسعف على غناء الشعر والشدو به، فيجمع للشعر الجمال بالإمتاع، والجلال بالإقناع.. يصدق ذلك في قوله في «**رحيل**» ولعله يقصد الشهيد:

تُزجي لنا العمر أفراحًا وتنصهرُ/ أم تجمع الخير في صمتٍ وتندثرُ؟
وأنت ملء عيون الحالمين سنا/ وأنت للحب حرفٌ/ خطه القدرُ
قد تدمع العين من فرحٍ/ ومن ترحٍ/ وقد يحدثُ عن أشواقه الحجرُ
وقد تغادر أقوامًا ومسكنهم/ بالقلب/ مهما يطول البعدُ والسفرُ

ومنه في بانياس:

يا أنفسًا صدئت/ يا أهل/ يا ناسُ
من أنفسٍ صدقت/ نادتك بانياسُ

والتقفية جلية هنا بمرحلتيها: التائية والسينية، وبتنضيد الشعر يصنع الطبلاوي لصنعه وضوحًا وجمالًا يستحقهما. وقريب من ذلك هي ثاني ظواهر الموسيقى في «**شاعر كالمطر**» إذ يستخدم مقومات التجانس في تنغيم النهايات كما في:

وكانت منائره قِبلةً / تستحث الهداة
وكانت قصائده قُبلةً / فوق غُرِّ الجباه
وكان الحياةَ إذا غردت / فوق عذب الشفاه

ثالث المظاهر تنغيم النهايات، بحيث بدت أسطره كأشطر عمودية مقفاة، من ذلك قوله:

لقد كان يسكنُ تلك الربى شاعرٌ كالمطر
وكانت محابره لا تجفُّ
وأطيافُه في الزوايا ترفُّ
وأحلامه بالردى تستخفُّ

وقد يلزم الطبلاوي في نهايات الشعر الحر ما لا يلزمه كشاعر عمودي، وفي ذلك مزيد تنغيم ودليل مقدرة.. يقول ملتزما ردف الياء قبل روي اللام:

ونُزعت من بين الصغارِ/ بلا اتهامٍ أو دليل
وسُحلتُ لم يشفع لهم/ أبدًا بكاءٌ أو عويل
حتى الحرائر/ ما سلمن من الأذى قبل الرحيل
أين الشهامةُ؟ هل نسيتم/ طبعنا الحر الأصيل
لأظل في زنزانتي/ من غير سابقة نزيل

ومثل ذلك في قوله:

لا تنتحر
فالكون لن يأسى عليك
أتظن من غرس الظلام بناظريك

سيحن من أسف إليك
وعند قبرك يعتذر؟!

رابع مظاهر الإيقاع البارزة بـ «**هنا القاهرة**» للطبلاوي يتجلى في تقنية التكرار بأنماطه، للكلمة والأداة، والسطر، والمقطع، وتكرار النسق.

من تكريره للشطر ما كان في «**بل أنت كذاب أشر**» في فاتح كل مقطع ومن تكراره للمقطع كاملا ما كان في غريب، إذ يكرر ستة أسطر كاملة في فاتح كل قسم من قصيدته والمكرر هو:

يا وحدتي في غربتي/ وعيون قلبي لا تنام
والقلب مشطور ببعد أحبتي/ والعقل هام
وإذا الأحبة غادروا/ لا شيء في الدنيا يرام

أما تكرار النسق فالأكثر فاعلية في تنغيم الشعر، بما يحدثه من تناغم حرفي صوتي موسيقي كما في قوله عن «**شاعر كالمطر**»:

وكان الحياةَ إذا غردت/ فوق عذب الشفاه
وبركان ثأرٍ إذا ما استعر
وشلال ماءٍ إذا ما انهمر

فالسطران الأخيران متماثلان صرفيًا وصوتيًا وإيقاعيًا على نحو يشي بطرب المبدع لرسالته على نحو ما نجده من طربه لغزة وبغزة،

إذ يقول في «**غزة المجد**»:

غزة الجند الذي فاق المحالا

غزة العزم الذي دك الجبالا

غزة الطفل الذي أمسى خيالا

قد رماها بالجفاء الغافلون

وبعد، فلشعر الطبلاوي دائمًا مذاقه الخاص، الذي يبدو فيه الشاعر متعبدًا في محراب الوطن، يلهب حماس أبنائه، فهو المبدع الثائر، والعبقري المبدع، والرائد الصادق الذي يتقدم الصفوف، فكم هي كبيرة جناية الإعلام ومؤسسات الثقافة حين تهمل شاعرًا كبيرًا بقامة خالد الطبلاوي، إبداعه لوطنه وأمته، لا لذاته، وشعره لأهله، لا لآهاته، يقتات في فنه الألم، ولا يتسلق كما الزائف ربى القمم.

أ د / مصطفى أبو طاحون

منتصف الليل

2014/12/29

* * * *

شاعر كالمطر

وكان هنا شاعرٌ كالمطر

يقبِّلُ وجهَ المساءِ الصبوحِ

ويمسحُ بالريح وجه الحفر

ويمضي و يمضي

وتسقط من راحتيه ملامحها هشةً كالخبر

لقد كان يسكنُ تلك الربى شاعرٌ كالمطر

وكان إذا ما تغنى

تغنت به الطيرُ فوق الغصون

ويصغي له في السماء القمر

ويغفو لغمسته الجدولُ العنبريُّ

وينسابُ شوقًا على المنحدر

وكان إذا حان وقت الحصاد

تتوق له الأرضُ

يهفو له شَعرُها العسجديُّ

فيمنحها شِعره والوتر
فتشدو بلابلها ما يريدُ
وتقطفُ من شهده ما أمر
وتبقى على وجهها جملةٌ خطها من عبر
لقد كان يسكنُ تلك الربى شاعرٌ كالمطر
وكانت محابره لا تجفُّ
وأطيافُه في الزوايا ترفُّ
وأحلامه بالردى تستخفُّ
وينقشُ آماله بالشرر
ليدرك من لا يراها
بأن الذي عاش رغم الردى
شاعرٌ كالمطر
وكانت منائره قِبلةً
تستحث الهداة
وكانت قصائده قُبلةً
فوق غُرِّ الجباه
وكان الحياةَ إذا غردت

فوق عذب الشفاه
وبركان ثأرٍ إذا ما استعر
وشلال ماءٍ إذا ما انهمر
فقد عاش فوق الربى عمره
شاعرًا كالمطر
يخطُ اذكروني
فدوني تعيشون نصف الحياة
وبي تدركون الخلود الأغر
وتوقيعه:
شاعرٌ كالمطر

* * * *

لا تنتحر

يا مغلق الأبواب مهلًا.. وانتظر
وامدد يديك إلى السحابة
واعتصر
أملًا وعش
لا تنتحر
فالكون لن يأسى عليك
أتظن من غرس الظلام بناظريك
سيحن من أسف إليك
وعند قبرك يعتذر؟
لا تنتحر
==
لا تنتحر
للكون رحمن رحيم
يقضي بسلطان قديم

فدَعِ الكآبة واصطبر
كم في الطريق من الحفر
وحدائق تهدي الثمر
وبكل درب منحنى
فيه المتاعب تنتظر
وبه من الأنوار ما
يهدي البصائر كلما
زاغت من السير العَسِر
لا تنكسر
==
لا تنتحر
لولا الظلام
لما عشقت النور
فيضًا ينتشر
فاطبع على وجه المآسي قبلة
كي تنحسر
وكن الجسور المنتصر

وانشر جناحك وانتشر

لكن برب العرش

لا..

لا تنتحر

* * * *

نظرة

مالي وحُسن ليس لي

من لي هناك بمنزلي

وضاءةٌ كالشمس

تمشي في العفاف الأكملِ

مكنونةٌ كالدُّر طهرًا

ثوبها من مغزلي

ترنو لدنياها إذا نظرت بعزٍ من علِ

هي لي لباس الستر

والسكن الذي يشتاق لي

الباب قد أوصدته يا فتنتي

فتمهلي

* * * *

حبى الأول

وما كنتُ أحسبُ أنِّي سأبكيكِ يا نبعَ ذاتي
ونجْماتُ شعري بدَت سافرةْ
وعُمري يغادرُ دربَ الحياةِ
يعانقُ أوَّلهُ آخرَهْ
فلا.. لستُ أنسى
وأنتِ الغرامُ القديمُ
- الذي ظلَّ يغرسُ فيَّ الحنانَ -
وماءُ الحياةِ
وظلٌّ تربَّعَ في الهاجرة
فما زلتُ أشعرُ نبضَ الأصابعِ
من فوقِ رأسي وصَدري وظهري
وما زلتُ أشعرُ حِضنًا
ودفئًا تسرَّبَ بينَ الضلوعِ
إلى الصدر والمهجةِ الحائرة

بحقِّ الحكايا التي قد غَزَلنا معًا من خيوطِ الليالي
وحبٍّ تلألأَ في مقلتيكِ
وأنتِ تصُبِّينَ سيلَ الأمانيِّ عَذبًا فُراتًا
بأنِّي سأصبحُ فوقَ السحابْ
بحقِّ الغناءِ الذي كنتُ أصحُو علَيهِ:
(يا صباحك عندنا.. لا يساويه الغنى)
فيقتاتُ قلبي على الحبِّ
والوُدُّ كان الشرابْ
بحقِّ الطعامِ الذي كنتُ ألعَقهُ مِن يديكِ
فأعشقُ طعمَ الأصابعِ قبلَ الطعامِ
وما قد دسَستِ بقلبِ الحقيبةِ
قبلَ الذهابِ إلى المدرسة
وعند الرجوعِ
ألوذُ بكرسيِّ حِجرٍ حنونٍ
أحدِّثُ عن كلِّ ما قد رأيتُ
وتُصغينَ في رقةٍ ساحرةْ
بحقِّ الذراعِ التي قد توسَّدتُ عندَ المنامْ

وذاك الحَمَامِ الذي قد زعمتِ بأنك لي تذبحينَ إذا ما غفوتُ

(هوه هوه.. نام نامْ.. وأذبحْ لك زوجين حمامْ)

وقد عانقَ الصدقَ منكِ الكلامْ

بحقِّ النجاحِ الذي كان يشرقُ شمسًا على وَجنتيكِ

إذا ما رأيتِ الشهادة

ولَوحيْ الذي كنت أحفظُ منهُ الكتابَ العزيزَ

فكنتِ تعانينَ من سُوءِ حفظي

ومِن كظم غيظٍ تحسِّينَ ضيقًا كطَلَقِ الولادة

بحقِّ رحيلكِ من قبلِ أن تشهَدي لي عروسًا

تقبلُ ما بين عينيكِ، تدعوكِ: أُمِّي

وتعطيكِ طفلي لينهلَ من نفسِ نهر الحنانِ

تضيئينَ بشرًا

تقولينَ في لهفة القلبِ: سمِّي

أجيبي فؤادي

يقولونَ مثواكِ تحتَ الترابِ

ويُقسمُ قلبي بأنك لي الروحُ والقلبُ والذاكرة

فعُودي لِحضني

فما عادَ قلبي يطيقُ اصطبارًا

لألقاكِ – يا أمُّ – في الآخرة.

* * * *

بين يدي الخنساء

ورحلت يا نهر الوفاء

ورحلت يا عصفورةً

نقشت على الأفق الرحيب

ملامح الوطن الحبيب

وحلَّقت من حوله

بملاحم الدرب الرهيب

بدماء حبات القلوب وبالضياء

كل الجيوش تخاذلت

وبقيت أنت لخير قافلة

حداء

قلب الأمومة ليس يقسو

إنما

لله يا خنساءُ قد وهب الدماء

الموت لحن ماله إلاك أغنيةً يرددها

يهيم بها العطاء

هزي نخيل الشعر إني جائع

ومشاعري حبلى بحب «لا تكدره الدلاء»

أماه يا طهرًا تجسد

باركته يد السماء

أحرجت من جعل الشوارب للرجولة رايةً

أخزيت من دفن البطولة والفداء

أماه يا فجرًا تنفس في دمانا

قد تغشانا الحياء

اليوم عيدك

والأحبة في انتظار

فامسحي عنك العناء

ولتصعدي للخالدين

على معارج من ضياء

* * * *

رغيف بالدم

رغيف من دمي بدمي
فلا تعجب فداك دمي
وكل واشرب وعش فرحًا
ودعني أحتسي ألمي
فإنا ما نرى كفيك
إلا منبت العدمِ
و ما اعتدناك في جمعٍ
سوى في زمرة الخدمِ
ترى لو كنت تمثالًا لبوذا
ذلك الصنمِ
وهب أنا دجاجاتٌ
تمير مطابخ العجمِ
وأغراضٌ لأوباما
أترضى ثُلة الأممِ

أما كنتم ستنتفضون
أفواجًا على قدمِ ؟
تُراني والإدامُ دمي
أثِمتُ فَعَقَّنِي رحمي
فشدوا لي بظلمتهم
متاريسًا من الظُلَمِ
وإن كنا
فما ذنب الجنين يموت في الرحمِ؟
وما ذنب الصغير يعيش في وادٍ من الحممِ؟
وما ذنب التي حلمت بأمجادٍ لمعتصمِ؟
أفيقي أمة الأموات
قبل مرارة الندمِ

* * * *

رحيل

تزجي لنا العمر أفراحًا وتنصهرُ؟
أم تجمع الخير في صمتٍ وتندثرُ؟
وأنت ملء عيون الحالمين سنا
وأنت للحب حرفٌ
خطه القدرُ
قد تدمع العين من فرحٍ
ومن ترحٍ
وقد يحدِّثُ عن أشواقه الحجرُ
وقد تغادر أقوامًا ومسكنهم بالقلب
مهما يطول البعدُ والسفرُ
وقد تموت غريبًا في حماك
على قرب الديار
كأن الأهل ما حضروا
وقد تخوض غمار العمر أغنيةً

محزونةً
قد جفاها اللحن والوترُ
وقد تفتش عن حلمٍ تلوذ به
وقد تغرد كي يستيقظ البشرُ
يا واهب الشعر رغم الحزن حنجرةً
ما مسها اليأسُ لا تبقي ولا تذرُ
تمحو عن الظلم أثوابًا منافقةً
كي يستبين لمن وفَّى له النظرُ
نم في سلامٍ فقد خلفت أفئدةً
تهفو إلى الحق
لم تعصف بها الغِيَرُ
إنا على الدرب
ما جفت محابُرنا
ولا القلوبُ
لوعد الله ننتظرُ

* * * *

ريحانة

غرس اللعين بدينكم أسنانه

وتنفست في قبرها ريحانة

ما نال منها كلبهم

أو حبلهم

من منكم اختار العفاف وصانه؟

لو كان سعد والمثنى بيننا

ما ذاق أهل المكرمات مهانة

ولأبطلوا مكر المجوس وسحرهم

ولأخمدوا لابن الخنا نيرانه

كم فاز من كان الإباء رضاعه

وفطامه يحمي به إيمانه

والخُسر للمدفون في لذاته

يرضى الخطايا دربه عنوانه

قد أصبح المأفون فينا سيدا

قد زينوا بعظامنا تيجانه

ريحانة ابتاعت جوار حبيبها

ربِ الأنام وجمعكم قد خانه

ما موتها إلا حياة بينما

صرتم لطاعون الفنا أقرانه

يا ساجدون لكل أوثان الورى

حتى وإن كسر الورى أوثانه

* * * *

يا سامريُّ الويل لك

الويل لك
يا سامريُّ
الويل كل الويل لك
أخرجت عجلًا دونه كل البقر
قرناه من بطشٍ وظلمٍ
ليس يبقي أو يذر
عجلًا من الحُمق المطاعِ
تعلقوا في ذيله
فهوى بهم للمنحدر

الويل كل الويل لك
أخرجته بحليهم
عجلًا بأنيابٍ تغوص بلحمنا

تُجري براميلُ الخليجِ لعابه
كي يستجيب لمن أمر
عجلًا تعلم أنه
من صنع أبناء القرود
يزود عن أحلامهم
جيشَ الأسود المُنتظَر
عجلًا به جينُ الخيانة
قد ترعرع وانتشر

يا سامريُّ الويل لك
عجَّلتَ بالثور المُهجَّنِ مقتلك
من قال إن العجل بالفتن العظيمة أجَّلك؟
كل الذين تبرعوا بحليِّهم كي يُخرجوه
منافقون
كل الذين استضعفوا هارون وانقلبوا عليه
سيهربون
سيعودُ موسى

كي يُحرِّقَ عجلك المصنوعَ من ذهبٍ وماس
ولسوف تصرخُ : لا مساس
وتعيشُ تنتظرُ الوعيد
مِنَ الذي قد أمهلك
ما أجهلك
فالويل كل الويل لك

* * * *

بل أنت كذاب أشر

بل أنت كذابٌ أَشِر
كَمَّمت كل حقيقةٍ
لم تنتظر
وحبست موسى
قد علمت عصاه يلقف حقُّها ما تأفكون
يا كاذبون
أقسمت ألفًا حانثًا:
أن الإخوة في ثرى الأوطان يومًا لن تهون
فنصبت للناس المجازر والمحارق والسجون
فلتنتظر
واثبت ولا تهرع لتوبٍ
إنما أهل الخزائن من بني البترول دومًا
عن خطاياك العظام يُكفِّرون

بل أنت كذابٌ أَشِر

يا أيها الوغد العنيد

بشرى بعهدك للتي

باسم الفنون قد اعتلاها كل شيطانٍ رجيم

ولكل أفَّاكٍ أثيم

ولكل من عشق المجون

والويل كل الويل عندك

للصلاة وعاشقيها

للمساجد

للتي رغم الزنازن والعساكر والمذابح

أمسكت دومًا برايات العفاف

فلا تهون

بل أنت كذابٌ أشر

خدعوك إذ قال الحواة وشيخهم:

اضرب بأي بيادةٍ في أي شبرٍ

سوف يخرج منه آلاف العبيد يفوضون

هي مصر يا خرميُّ فاحذر

لست أهلًا

قد أضلتك الظنون

بل أنت كذابٌ أَشِر

وأتيتنا بخريطةٍ ملأى بآلاف الحفر

مستقبلٌ يرنو إلى قرنٍ مضى

عجبًا

أما من مُدَّكر

بل أنت كذابٌ أَشِر

* * * *

رسالة سجين

يا قومنا
منكم جراحاتي تسيل
وجميع أبنائي قتيل
وأنا الذي لا أبتغي
للبغض يومًا من سبيل
قاومتكم بالجوع
والإصرار
والجسم الهزيل
في سجنكم
من غير سابقةٍ ولا ذنبٍ
نزيل
==
وأنا الذي أعطيت ماء النيل
طعم السلسبيل

وأنا الذي غازلت حب القمح
في ظل النخيل
ولأجلكم
بالعلم أبني المستحيل
لكنني في سجنكم
من غير سابقةٍ نزيل
==
ونُزعت من بين الصغارِ
بلا اتهامٍ أو دليل
وسُحلتُ لم يشفع لهم
أبدًا بكاءٌ أو عويل
حتى الحرائر
ما سلمن من الأذى قبل الرحيل
أين الشهامةُ؟ هل نسيتم
طبعنا الحر الأصيل
لأظل في زنزانتي
من غير سابقة نزيل

==

في السجن آلاف تئنُ

من السياط من القيود

وعلى الظهور

حفرتم الإجرام ليس له حدود

ماذا جنى الأحرار كى

يودي بهم بطش العبيد

وإلى متى صمت القبور يلفه

برد الجليد

يا قومنا

أوليس للحقد المدمر من بديل

لأظل في زنزانتي

من غير سابقة نزيل

==

بإشارة من كفنا

نُرمى بغازٍ أو رصاص

ونقاد للسجان

لا عفو هناك ولا خلاص

فلتخبروا سجانكم

يومًا سيأتيه القصاص

حتى وإن طال المدى

يوم القيامة بيننا

لا ظلم فيه ولا مناص

والله يحكم بيننا

هو حسبنا نعم الوكيل

* * * *

هنا القاهرة

إذا مـا نظـرتَ مـن الطـائرةْ
ستعـرفُ أنّ هُـنا القـاهرةْ
وأن الـذي شقـها لـيس نيـلًا
ولكنهـا طـعنةٌ غـادرةْ
هنـا ثـورةٌ قـد محـاها الغـباء
ودنيـا تُمـزّقُ في الآخـرةْ
هنـا مـصرُ تفقـدُ أبنـاءَه
وفي عينـها نظـرةٌ حائـرةْ
هنا الدمُّ يجري على الأرضِ ماء
هنـا يُقـصفُ الفكـرُ بالطـائرةْ
هـنا المسرحياتُ والمخرجـون
قطـارٌ يـسـيرُ بـلا قـاطرةْ
وقِـسٌّ تجلّـى / وشيـخٌ تخلّـى

لتـشـرحَ ملتَنـا العاهـرةْ
وشيـخٌ تحـلّى بعقـدِ الفتـاوى
وشـيخٌ تـدورُ بـه الـدائرةْ
وآخـرُ في الجُـبِ ثـاروا عليـهِ
وألقـوه في ليلـةٍ غـابرةْ
وفـوقَ المـساجدِ راح الـصليبُ
يبـوحُ بترنيمـةٍ ماكـرةْ
هـنا النـاسُ تـصنعُ ثوراتِهـا
وتأكلـها عجـوةً فـاخرةْ
هـنا الجنـدُ غـادرَ كـلَ الحـدودِ
ليـضربَ في القلـبِ والخـاصرةْ
هـنا المـوتُ أقـربُ مـن ناظريْـكَ
يواتيـكَ في البـردِ والهـاجرةْ
فـإن شِـئتَ ذبحًـا / وإن شِـئتَ حرقًـا
وإن شـئتَ مـن طلقـةٍ غـادرةْ
ولـلأرضِ عطـرٌ مـن الراحـلين

بمـــــسك دمـــــائهمُ الطـــــاهرةْ

هـــنا الثابتـــون / هنـــا الـــصامدون

وأحلامهـــــم للـــــردَى عـــــابرةْ

فـــإن عـــشـــتَ كنـــتَ مـــع الميتـــين

وتلـــــك إذًا كـــــرّةٌ خاســـــرةْ

وإن شـــئتَ فـــامضِ مـــع الخـــالدين

إلى جنـــــةٍ بالرضـــــا عـــــامرةْ

* * * *

على درب الهجرة

وعـلى خطـاك شرعـت في هجـراتي

وسـكبت فـــوق سـبيلكم عـبراتي

وقريش ما زالـت تحـــارب فكـرتي

وتـصب لعنـاتٍ عـلى خطـــواتي

بالجند بالإعـــلام بالقاضي الـذي

مـــا مـل مـن قـتلي ومنـع صـلاتي

يا سيدي وقـريش لم تعـــد التي

في مكـــة انكـفأت بأمـــر الـلاتِ

بل أصبحـــت في كـل شبر شـوكة

للـســـــائرين ومنبـع الغـدراتِ

قد صـادرت حتى المشاعر تبتغي

وطنـا يـذوب عـلى شـفا الحسرات

بل عسكرت كل الشعـــائر بعدما

حبســت أذان الفجــر بـين رئـاتي
مـــا بـين مقتـولٍ وبـين مطـــاردٍ
سـجن لمـن ثـاروا عـلى الظلـماتِ
والمـوت مغــروس لكـل مهاجــر
فــي دربـه بـالروض والفلـــواتِ
والغــار حاصره الكـلابُ وغارنـا
قــد زينـوه بأعــين الكـــاميراتِ
لكـــننـا في كـــل يـوم يرتقـــي
مــنا الـشهـيد يتـوق للجـــناتِ
والعهـــد لـسنا المخلفـين لعهـدنا
وعـلى ربـاك نعـــانق الــرايـاتِ
مـن كـل ناحـــية يعـــود لقدسنا
مــن أخلـصـوا الله في الخـــلواتِ
ومـن الخلـيج إلى المحـيط كتائـبٌ
ستعــود للأقصـى بكـــل ثباتِ
هـي أمـة تغــفو ولكـن لم تمـــت

والسـر يـا مـولاي في النفحـــاتِ
في دربهـــا وكتابهـــا ونبيّهـــا
والله يُحـــيي القــلب بعـــد مماتِ

* * * *

متر ونصف

بسجـــنٍ طـــوله مترٌ ونـصفُ
يحـــــاكُ لنـا بـه ظلـمٌ وخـسفُ
وتعـــذيبٌ وترويـــــعٌ وقـــــتلٌ
وأنـت عـلى هـوى الإعـلام تطفـو
دمـي مـــاءٌ وهـفـــــواتي بـلاءٌ
وكفـــرٌ لـيس عنـه النـاسُ تعفـو
وعـن حرقـي وذبحـي واغتـصابي
بكـل سمـــاحةٍ تعفـــو وتغفـــو
وعـــرض الطيبـات غـدا مباحـــًا
ولـيس لهـن غـير المـــوت سـقفُ
تهـــانُ حـــرائرٌ ويـضـــامُ حـرٌ
ووجـــه النـاس للـسفاح يـصفو
أمـا لي فيـك يـا وطنـي أمـــانٌ

وآمـــالي عـلى كـــــفيك نـزفُ
أنـا المقهـور والتفكـيرُ جـــرمي
أنـا مـن باقـــة الإبـداعِ حـــرفُ
أنـا الحـــرُ الـذي أهـــداك عمـرًا
وعـن عينيـك لا يغـــنيه طـــرفُ
وأيـامي عـصـرناهـــا لتبقـى
عـلى شـفتيك رغـم الحـزنِ رشـفُ
نقـشناهـا عـلى كفيـك عـشقًا
محـــاها منـك إجحـــافٌ وعنـفُ
عـلى ظهـري تخـط بـسوط حقـدٍ
مـن الأنـذالِ يـا وطـــني أكـــفُّ
وهبتَ لكـل مـن خـــانوك فـضلًا
وأغـــنيت الـذي بـك يـستخـــفُّ
وشرَّفـــتَ المـــواخير القـــدامى
ومن للفحـش هـم أهلٌ ووصـفُ
وأعـدمت الـذين لـك استقامـــوا

فأحـــــزان الثكـــالى لا تجـــفُّ
فقـــل لي بالـــذي خـــلق البرايـــا
أكُـــلَّ منـــافقٍ ترجـــــو وتقـــفو
غـــدوت لكـــل ذي غـــدرٍ براحـًــــا
ولي زنـــــزانة مـــترٌ ونـــصـــفُ

* * * *

غزة المجد

غـــزة الجنـــد الـــذي فـــاق المحـــالا
غـــزة العـــزم الـــذي دك الجبـــالا
غـــزة الطفـــل الـــذي أمـــسى خيـــالا
قـــد رماهـــا بالجفـــاء الغـــافلون

==

أشـــبع القـــسامُ إسرائيـــل رعبـــا
صـــب فـــوق حـــصونها النـــيران صـــبا
فتيـــة قـــد آمنـــوا بـــالله ربـــا
لـــيس يثنـــيهم جـــراح أو منـــون

==

لـــن ينـــال حـــصاركم مـــن كبريـــائي
لي بـــربي معـــبر نحـــو الـــسماءِ
مـــصحفي زادي ومـــسكي مـــن دمـــائي
فلـــيكن مـــن بعـــد مـــوتي مـــا يكـــون

في مثل هذا اليوم

في مثل هذا اليوم
كانت عسكر الفرعون تعوي
في حنايا رابعة
جاء الصباح مسربلا بالليل
ليس له بهاء الفجر
إلا من عيون الطيبين
كانت خيام الناس تبدو مثل منشار ولا ندري
بأن الذبح مكتوب لكل الطاهرين
وإذا بإبليس اللعين
يلوح مبتسما ويهتف:
أين آدمُ كي يرى أحفاده
من بعد هدي المرسلين
الموت كان معتقا
والحقد يكسو دار ندوتهم ففيها خططوا

واستنسخوا (شمرًا) جديدا
كي يجز رقاب من عشقوا الحسين الثائرين
والصوت جاء من المنصة
فيه حشرجة احتضار
رغم قوته يهز النائمين
ويقول حيَّ على الإباء
فموتنا اليوم امتداد للحسين
وصحوة لابن الزبير
وكل من لعنوا الظلام مكبرين
يوم كألف من سنين تناثرت من عمرنا
في كل ثانية تشبث راحل من بيننا
في كل ثانية أزيز الطائرات
مكبرات الصوت تهذي:
إن هذا الذبح جاء مطابقا
ما خالف الدستور والحق المبين
في كل ناحية تناثر لحمنا
ودماؤنا شقت طريقا

والحرائق تأكل الجرحى
فيعلو بالإدام لهيبها
لا تستكين
من فوقنا سيل الرصاص وتحتنا
والغاز عشش في الرئات وفي العيون
والموت بالمجان يزجى
للكبار وللنساء وللصغار
وشاشة التلفاز تحكي:
إن من قَتلوا ومن قُتلوا هم الإخوان
فلتخرس جموع المرجفين
يا أيها الملك السعيد:
حكاية
ما كان يسطيع الخيال بناءها
جرافة هرست من الأموات آلافا
وما غيضت دماء الراحلين
قد أصبح الإنسان مهزلة ومزبلة
ومات الأُسْدُ
واستولى الكلاب على العرين

سر يا بني

سر يا بني على آثار من ثاروا
سرْ فالحياة هنا ضبط وإحضارُ
كم حرة خرجت من خدرها
غضبا لله
ما ضرّها غازٌ ولا نارُ
طبع الحياة هنا:
قتلٌ لمن رفضوا
خزيٌ لمن صمتوا
فالصمت إدبارُ
من لم يذق حمم الخرطوش
كيف له أن يدعي شرفًا
وذراه تنهارُ
من لم يعش عزّا والحق غايته
ذُلّت على يده بالخوف أعمارُ

والغاز إن هربت منه العيون
فلا ترتاح أعينُ من قد مسّه العارُ
والضرب إن يك في (المليان)
ليس له إزهاقُ من حفظت دنياه أقدارُ
والعيش متكئًا في ظل عسكرهم
كالموت في حفرٍ تعلوك أقذارُ
والحسنيان لمن صحت عزائمه
يسعى لها شغفًا
والرب يختارُ

❊ ❊ ❊ ❊

روحُ الأمل

نحيا على روحِ الأمل
وبعزمِنا
نعطي على العزم المثل
ولربنا
نسعى وإن طال الأجل
تسري بنا

روحُ الأمل
تَغْشى سمانا يا وطن
وعلى جبين الحُر تحنو بالقبل
وعلى الرُبى
راحت تُحَيِّي الثابتين
ومن روى هذا الثرى
بدمائه

أو بالمُقل

روح الأمل

توحي بعهد الفاتحين

وترتقي بالسالكين

نحو السماء بلا وجل

إنا وإن كنا نعيش على الثرى

نهفو إلى دار الخلود

على عجل

روح الأمل

تحيي موات البائسين

وتُقرِّب النصر المبين

من أجل أجيالٍ تتوق

إلى الجنان بلا خجل

في عِـزةٍ وكرامةٍ

متفائلين ومؤمنين

أن الذي خلق الحياة

هو الذي يقضي

إذا حان الأجل

روح الأمل

خطَّت على أرضي هنا

درب العمل

فاستبشروا

بل شمروا

عن ساعد الجد الذي

ما كلَّ في طلب العلاءِ

وبالضياءِ

قد اغتسل

* * * *

تهانينا

تهانينا تهانينا
يقال غدوت والينا
ولم تسرق إرادتنا
ولم تعدم أمانينا
ولم تسجن من اخترنا
بكل الحب راضينا
ولم تنجح بمهزلة
ورقص من غوانينا
تهانينا تهانينا
يقال غدوت والينا
ولم تخضع لإسرائيل
أو تذبح لها سينا
ولم تحرق برابعةٍ
شهيدًا أو مصابينَ

وما عسكرت دنيانا
وما أخرست حادينا
تهانينا تهانينا
يقال غدوت والينا
ولم تقلب لنا قيما
ولم تفسد لنا دينا
وما دمرت حاضرنا
وما شوهت ماضينا
ولم تحبس نوابغنا
ومن بالعلم يحيينا
==
تهانينا تهانينا
يقال غدوت والينا
ولم تحلف ولم تحنث
ولم تخنق لياليا
وما فرقتنا شيعًا
وما مزقت وادينا

فبئس الحكم يا هذا
على الأشلاء يأتينا
تهانينا تهانينا
يقال غدوت والينا

* * * *

غريب

يا وحدتي في غربتي
ودموع شوقي لا تنام
والقلب مشطور ببعد أحبتي
والعقل هام
وإذا الأحبة غادروا
لا شيء في الدنيا يرام
عيش الغريب كموته
لا نوم يحلو أو طعام
أين ابتسامات الصغير
وقصة قبل المنام
أو قبلة مثل النسيم
تطير بي فوق الغمام
أو جلسة
غار الصفاء لحسنها بعد الدوام

أو نزهة في الليل
فاضت بالسرور وبالوئام
أين الرفاق
ونورهم يبدو إذا لاح ابتسام
ولقاؤنا بالحب
يسري بيننا عطر الكلام
==
يا وحدتي في غربتي
وعيون قلبي لا تنام
والقلب مشطور ببعد أحبتي
والعقل هام
وإذا الأحبة غادروا
لا شيء في الدنيا يرام
لكن حلمي لن يموت
وإن رمت قلبي السهام
ستعود يا وطني
تكف عن البريء يد اللئام

شمسا يطل ضياؤها
يهدي إلى الناس السلام
ومنارةً للســـــائرين
وقبلة لمن اســـتقام
وأذان حبٍ
يوقظ الإيمان في قلب النيام
ستعود فجرا باسما
يمحو عن الكون الظلام
حضنا لكل البائسين
سحابة تسقي الكرام
لتعود أفراح الصبا
ويعود للأيك الحمام

* * * *

صورة وطن

ورسمت صورتك الجميلة يا وطن
وعليك أغمضت العيون
حبا رأيتك مثل حبات الندى
أو لحن عصفورٍ شدا
ويتيمةً مدت يدا
للحلم رغم الموت والدم والجنون
ومقاومًا في سجنه
نقش الحياة على الجدار
وخط أغنية الأمل
ومُزارعا في حقله
رغم الشقاء
يرى الحياة هي العمل
ورصيف ميدان
نزفنا فوقه وقت المحن

هذي حروفك يا وطن
أنا لا أراك بنايةً
أو حاكمًا أو حاشية
أو خطبة بالزيف سالت
من لسان الطاغية
يا حبنا المسروق
يا جرحا يلم شتاتنا
رغم الأسى للعافية
لا دمع بعد اليوم
بل زادي إليك هو الصمود
وغدا نعود
يا دفئنا المفقود عد
واغسل همومًا عاتية

* * * *

قوافل الإعدام

تدور قوافل الإعدام
تسعى بين أيديكم
تئن بوطأة الأحكام
خجلى من مآسيكم
بقتلي لن يموت الحق
بل خابت مساعيكم
وموتي في سبيل الله
يحييني ويفنيكم
سراب الغدر منَّاكم
فخانتكم أمانيكم
وفي عهد الدجى
ماتت مصابيح الهدى فيكم
ومصر المجد
لن ترقى بمن يطغى ويغويكم

فقد خنتم قضاياكم
وأسعدتم أعاديكم
قضاةَ العار:
قد ماتت عدالتكم بناديكم
بحبل الظلم قد شنقت
وما زالت تناديكم
سأسديها لكم نصحًا
لعل الله يهديكم
قضاء الله قبل قضائكم
حتما سيأتيكم
وفتوي العالم المأجور
زيف ليس يبريكم
ولا تفويض أصنامٍ رضت بالذل ينجيكم
إله الغرب مصلحة
إذا تُقضى يجافيكم
وفي مستنقع الأنذال
في مقت سيلقيكم

لقد ماتت مهابتكم
وليس البطش يحميكم
وما عاد الشباب الحر
يخشى سيف راعيكم
فقد أعدمتم الإعدام
من جورٍ فشا فيكم

* * * *

آهات العيد

صبي عليَّ من الهموم مزيدا
ولتكثري
إني سئمت العيدَا
ما العيد؟
والأحباب يفنى نصفهم
والنصف أضحى في البلاد شريدا
والطفل يأتي للحياة بطلقةٍ
وبطلقة أخرى يموت شهيدا
والأم يقتلها الحنين لطفلها
والطفل قد كره البقاء طريدا
وقوافل الأعراب شرٌ أبكمٌ
مسخ تنقل في الحياة فريدا
يا أمةً ذكر الحديدَ كتابُها
قد صرت في عرف العقول حديدا

هل يكتبُ الدستور بعد محمدٍ
والخير جاء على يديه مديدا
إلا على درب مشاه وصحبه
فيه الأصول تعانق التجديدَا
أكل الكلام فعالنا فتفرغت
ترجو الرغاء وتعشق الترديدَا
ما العيدُ والأحرارُ ضَنَّ بحقهم
وغدٌ فألقى بالدليل بعيدا
واستفحل الأنتانُ حتى أغرقوا
وجه الحياء بطينهم فأُبيدَا
ولكل فردٍ في البلاد مطالبٌ
لو بعت مصر لما كفته نقودا
وإذا دعا الداعي لبذل مكارمٍ
ألفيت جل الطالبين عبيدا
إني أرى التحرير شق جيوبه
وتحولت أنفاسه تنهيدا
من بعد أن صار المزار

لفرقة يُستنعجون
عدوا عليه أسودا
لا ترسمي للعيد أي ملامح
يكفي الفؤاد مرارةً وصديدا
إلا إذا عادت بلادي حرةً
فبذاك يغدو كلُّ يومٍ عيدا

* * * *

مصيبة الحر

شكوت للطبيب:

أعيني

قد أصبحت ضعيفة هزيلة

ترى الكثير في بلادنا

آذانهم ممطوطة طويلة

فقال إنها سليمةٌ

ويا لها من نظرة أصيلة

فغيِّر البلاد و ارتحل

أو غير الرجال و القبيلة

فقلت إنها مصيبة

للحر في بلاده الجميلة

فإنها وإن تغيرت

يبقى على صفاته النبيلة

وإن تخطفته للردى

كلابها لن يبتغي رحيله

بانياس

يا أنفسًا صدئت

يا أهل

يا ناسُ

من أنفسٍ صدقـــت

نادتك بانياسُ

من بعد أن نفدت أرواحنا عبثًا

هل في حماكم لنا جيش وحراسُ؟

أم أن إنقاذكم هو عد من قُتلوا

وسلاحكم في الوغي

حبرٌ وكراسُ؟

هل للصغار إذا قطعوا حناجرهم

من مصرخٍ ما له في العهد أنكاسُ؟

هل لليتامى إذا فقدوا عوائلهم

في حضنكم يا ترى دفء وإيناسُ؟

هل للحصانِ التي ديست كرامتها
من فارسٍ كفه البارود والباسُ؟
لعنات ربي على من راح يحسبها بالمال
حتى غزا الأرحام أنجاسُ

* * * *

تغريبة سورية

يا أيُّها الدَّمُ فاق السيلَ من حلَبِ
سلِّم على الدربِ ذابَت فيه روحُ أَبي
في كلِّ يومٍ تذوبُ النفسُ من كَمدٍ
كم أَودَعت في الثَّرى
من حرةٍ وأَبي
ما أسكرَ النفسَ
لَمَّا صارَ مُسكرَها
من صرخةِ الرُّعبِ
ممزوجًا بدَمعِ صَبي
والوقتُ في الحربِ
لا الأيامُ تَحسُبهُ ولا الثواني،
ولكنْ كثرةُ الكُرَبِ
قد أُحصرَت حمصُ
والخذلانُ يَضربها

من لُحمة الدينِ
أو من فارسِ العَربِ
قل للروافضِ:
قد أنجزتِ في وَطنٍ
قد سلَّحوهُ بآلافٍ من الخُطَبِ
قل للذينَ أراقوا من مَدامعِهم
لو كانَ نفطًا؟
وكانَ البذلُ من ذهبِ؟
ما أحقرَ القولَ
لا سيفٌ يعانقهُ
وأعجزَ السيفَ
لم ينهَلْ منَ اللَّهبِ
كم أفرغَ العجزُ من حقٍّ
يلوحُ لَنا كالنَّجم
كيف أضرَّ القولُ بالنُّخَبِ؟
هذا الذي خِلتُ من كفَّيهِ أجنحَتي
غاصت بهِ النفسُ في الأوحالِ للرُّكَبِ

يا عارَ يعرُبَ، لا تجهَد لهم
فلَهمْ سِفرٌ من العارِ
لم يُطمس من الكُتُبِ
قدسٌ، عراقٌ، وصومالٌ يذوبُ لظى
ونصفُ سودانَ
لم يسلَم من الرِّيبِ
فقل: سلامٌ على الدنيا
فقَدْ سحَبتْ شمَّ الرجالِ،
وما أبقَت سِوى اللَّعِبِ

❊ ❊ ❊ ❊

غزة العزة

عِزٌ فخرٌ للإسلام
مَجدٌ تَحْكِيه الأيام
تَحْيَا غزةُ بالإقدام
من كان أسيرَ الأوهام
قالوا كَذِبًا وخُرافات
عن إسرائيلَ حِكايات
لكنَّ القسامَ محاها
بكراماتٍ وبطولات
بالصاروخ وبالتكبير
نُردي أبناء الخنزير
فوقَ الأرضِ وتحت الماء
وشِراعٍ بالرعب يطير
مَلْحمةُ العصفِ المأكول
تُخزي أنذالًا وذيول

تُعلنُ في عزٍ للدنيا
للحق سنمضي ونصول
لكنْ في جيشِ الأعراب
جندٌ منزوعُ الأنياب
قد هان على الله عبادٌ
أعطَوْا ظَهـْرا للمحراب
في جيش الأعراب جنود
في قتل الإخوان أسود
كم لثموا كف نتنياهو
كم تَعِبوا من أجل يهود
في رابعةٍ أو في غزة
ستظل لأمتنا العزة
دمنا دمكم أنتم منا
من وفَّى لله أعزه
إنْ تَرغبْ في العِز تعالى
فالعزُ من الله تعالى
قد وعد بنصرٍ من قاموا
للخير وللحق رجالا

الحب يا ولدي

للحب يا ولدي معانٍ
لم تلكها الألسنة
قد شاغفت قلب المحب
فما تلم به سِنة
والصمت للصب المُعَنّى قلبه
ما أحسنه
والقول يفسد في ثوانٍ
ما نعيش به سَنة
--
والحب منظار الجمال
على عيون العاشقين
لا يبصرون لدى الحبيب
سوى الكمال المستبين
غاصوا فما التقطوا

سوى حلو اللآلي قاصدين
كالنحل طاف
ولا مرام سوى رحيق الطيبين
--
والحب عفة يوسفٍ
ونقاء فاطمَ والبتول
وحنان يحيى
واقتفاء مكارمٍ خلف الرسول
بل رحمة تروي القلوب
وحكمة تهدي العقول
وإلى مقامات الرضا
درب ومعراج الوصول

* * * *

شام العجائب

مـــــــا أجـــــــمل المـــــــوت
مـــــــا أحـــــــلاه أمـــــــنيةً
يهفـــو لهـــا في ليـــالي القـــصـــف ثـــوارُ
يـشـــــدو بهـا الطفـلُ والأحـشـــاء بـارزةٌ
يـــصغي لهـــا الـــشيخُ والآلام إعـــصارُ
ترنـو مـن الغـــيم كـف الغـــيب باســمةً
تـــــــــستعرض النـــــــــاس
مـــــــن للحـــــــور تختـــــــارُ؟
الله يـــــــــــا شـــــــــــامُ
كـــــم أبطـــــلت مـــــن عجـــــبٍ
حتـــى تألـــق فـــي عينيـــك إبهـــارُ
صـــــبرٌ عـــــلى القتـــــل والترويـــــع
قـــد عجـــــزت عنـــه الحكـــــايا

فمـــــــــا تكفيـــــــه أســـــــفارُ
ضحْـــك مـن المـــوت والدانـــات مقـبلة
كأنهـــا في ظـــــلام الليـــل أقـــــمارُ
يستنـشق النـاسُ عطـر المـوت في فـــرحٍ
تـــستعذب النـــار والبـــارود أزهـــــارُ
مـــا زال يـــرقص في عينيـــك محـض لظـى
يُحكـــى فتوقـــــد للتـــــاريخ أسرارُ
ســـبحـــــــــــــــــــان ربي
أ لـــلآلام بوصـــــلة تهـدي الحيـارى؟
وللأحـــــــــــزان أنـــــــــوارُ؟
كيـــف اصـــطفتك عيـــون المجـــد؟
فانطلقـــت فـوق المنـابر أشـواقٌ وأفكـارُ
نهـــــرٌ تدفـــــق بالأخـــــلاق
فـاض بـه بـين الخـلائق إصـرارٌ وإيثـارُ
يـــــا فجـــــأة الغيـــــث:
إن الـشـــام لـيس لـه سـقيا سـوى الطهـر

هـــــل تكفـــــيه أمطـــــارُ؟
مـــا بـــين روحٍ ودار الخـــلد قـنبلـــةٌ
مـــا بـــين عـــدنٍ وأرض الـــشـــام أمتـــارُ
قـــد نـــشتهيها ولكـــن لا نعـــانقهـــــا
والـــشام تمـــنحها الأحـــــلام أخطـــارُ
يا حمصُ قولي لأقوامٍ بلادتهـم نحتُ الثلوج:
أنـــــا مـــــن بردكـــــم نـــــارُ
هـــذي حمـــاةُ تدلى من ضفائرها فجـــرٌ
وأنبـــــت في العـــــينين صبـــــارُ
مـــا كـــل مـــا يبتغـــي الـــشبيـــحُ يدركـــه
لـــن يكـــســـر المـــــارد الجـــبار بـــشارُ
إن الأمـــــــــانيَّ تحـــــــــيينا
سنغـــرسهـــــــــــــــــــــا
حـــتمًا ســـتورقُ فالإيمـــــانُ أنهـــارُ
في كـل شـبرٍ مـن الأشـــلاء مزرعـةٌ تنمـــو
فتثمـــــر للأجيـــــال أشجـــــارُ

لـــــن تهزمـــــونا بخـــــذلانٍ
فإن لنا ربًـــا يقـــدرُ أقـــدارًا ويخـــتارُ
حـــــقٌ عـــــلى الله نـــــصري..
لـــــن يروعنـــــا مـــــستنقعُ البغـــــي..
هـــــــم بـــــــالله كفـــــــارُ
فلتـــــستجيبي شـــــموس النـــــصر
لـيس لنـا غـير الكـرامة في الأيـام أعمـارُ

* * * *

الفهرس

مقدمة 5
شاعر كالمطر 24
لا تنتحر 27
نظرة 30
حبى الأول 31
بين يدي الخنساء 35
رغيف بالدم 37
رحيل 39
ريحانة 41
يا سامريُّ الويل لك 43
بل أنت كذاب أشر 46
رسالة سجين 49
هنا القاهرة 53
على درب الهجرة 56

متر ونصف 59
غزة المجد 62
في مثل هذا اليوم 63
سر يا بني 66
روحُ الأمل 68
تهانينا 71
غريب 74
صورة وطن 77
قوافل الإعدام 79
آهات العيد 82
مصيبة الحر 85
بانياس 86
تغريبة سورية 88
غزة الغزة 91
الحب يا ولدي 93
شام العجائب 95
الفهرس 99